اهتمام المثقف المصرى كمواجهة الاحتلال والسعى لتحرير مصر ... إلخ ، مما بدد جهد الرواد الأوائل للنهضة ، وشتت تيار الدفع إلى العصر الحديث فى قنوات فرعية أخرى لمدة طويلة، كانت الشخصية المصرية « القومية » قد استوت منذ تصدى الشعب للاستعمار الفرنسى والتف حول زعيميه الحقيقين « عمر مكرم » ، « حجاج الخضرى » [1] ، وتجلت قوة الشخصية المصرية واستوائها فى تعيين « محمد على » - نفسه - والياً بإرادة الشعب بعد خروج الفرنسيين ، ولم يعد بمقدور أحد - مهما أوتى من قوة - أن يوقف تيار بنائها ، وإن نجح فى تعويق مسارها فترة من الزمن . ومن مظاهر تعويق استواء الشخصية المصرية إهمال كثير من مؤلفات القرن الماضى كمؤلفات « رفاعة رافع الطهطاوى » ، و« على مبارك » والاحتفاظ حتى الآن بكتاب « وصف مصر » فى خزائن الكتب لولا جهد فردى لم يكتمل بترجمة فصول منه قام بها الراحل « زهير الشايب » .

وقَطْعُ سلسلة التواصل مع أوائل الرواد يؤدى إلى أن تظل الثقافة جسداً مبتوراً عاجزاً عن النمو . فالتطور لا بد له من جذور لمعرفة خصائص الشخصية المصرية ، ما شغل عقول روادها المحدثين ، وأنجزوه ، وما تركوا لنا فرصة إنجازه ، أى معرفة جذور النبتة الجديدة ، لا النبش المريض فى الماضى والاعتزاز به لكونه ماض .